

الحلقة الثانية والثلاثون

أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس. وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لإضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، وتشتت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلتي الرسول بولس الأولى والثانية في مدن تركيا واليونان آمن الكثيرون بالمسيح، رغم الإضطهادات الشديدة التي تعرض لها.

وعندما بدأ الرسول بولس رحلته التبشيرية الثالثة، أتى أبولس إلى مدينة أفسس وكان يخطب مبشراً بمعمودية يوحنا، فعرفاه أكيلاً وبريسكلاً بطريق المسيح الرب. ثم ذهب إلى كورنثوس حيث كان يفحم اليهود أن المسيح هو المخلص الموعود به. ووصل الرسول بولس إلى أفسس فوجد بعض المؤمنين بمعمودية يوحنا، وعندما بشرهم بالمسيح اعتمدوا وحلّ الروح القدس عليهم. ومكث بولس مدة سنتين في أفسس، فسمع الكثيرون بشارة الخلاص.

وعندما حاول بعض اليهود تقليد بولس بإخراج الروح الشرير من أحدهم، هجم عليهم الروح الشرير وغلبهم. فانتشر هذا الخبر بين جميع الساكنين في أفسس من يهود ويونانيين، فوقع خوف على الجميع. وتمجّد اسم المسيح. وجاء كثيرون من الذين آمنوا بالمسيح، يعترفون ويخبرون بما كانوا يعملون من أفعال شريرة. لا بل أخذ كثيرون من الذين كانوا يشتغلون بالسحر، يجمعون كتبهم المتعلقة بأعمال السحر ويحرقونها أمام الجميع. وقد حُسبت أثمان هذه الكتب السحرية التي أُحرقَت، فتبين أنها تبلغ خمسين ألف قطعة من الفضة، أي مبلغاً باهظاً جداً من المال. وهكذا كانت كلمة الرب، وبشارة الخلاص تنمو وتنتشر بقوة. (لمتابعة حلقة اليوم الرجاء العودة إلى أعمال الرسل ١٩:١٨-٤١)

كان كثيرون من الأفسسيين منخرطين في أعمال السحر والشعوذة. وكانت أفسس تعتبر مركزاً للسحر الأسود ولممارسات الشعوذة الأخرى. وسعى الناس هناك للتمائم، أي لكتابة الأحجبة، لتعطيم الغنى والسعادة والنجاح في الزواج. لكن الله كان قد حرّم

هذه الممارسات في العهد القديم، إذ نقرأ في سفر التثنية هذه التحذيرات للشعب قديما: " لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر. ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب." (تثنية ١٨: ١٠ و ١١)

إن الله يكره إذن كل أعمال السحر والشعوذة، لأنها من الشيطان، ويطلب أن نبتعد عنها. فإذا كنت مستمعي من الذين يمارسون هذه الأمور الفاسدة الشريرة، أو يلجأون إليها، أرجو منك أن تتخلى عنها فوراً. وتطلب في نفس الوقت قوة المسيح المخلص المحررة، التي وحدها تستطيع أن تقهر الشيطان وتفك قيوده عنك.

وبعد حدوث هذه الأمور، قرر الرسول بولس السفر إلى مدينة أورشليم في فلسطين، مروراً بمقاطعتي مقدونية وأخائية في اليونان، والتي كان قد زارها في رحلته التبشيرية الثانية. وكان يرغب الذهاب من أورشليم إلى روما. فأرسل إثنين من معاونيه إلى مقدونية هما تيموثاوس وأرسطوس. أما هو فبقي في مقاطعة آسيا بتركيا، ومركزها أفسس. وكنا قد علمنا سابقاً أن الرسول بولس التقى بتيموثاوس في رحلته التبشيرية الثانية بمدينة لسترة في تركيا. وأخذ الرسول بولس معه عندئذ ليصاحبه في رحلاته التبشيرية. وقد كتب له فيما بعد رسالتين، عندما أصبح تيموثاوس راعياً لكنيسة أفسس. أما أرسطوس فقد كان معاوناً لبولس، وصار فيما بعد أميناً لصندوق كنيسة كورنثوس.

وبينما كان الرسول بولس في أفسس، وقع إضطراب خطير هناك بسبب بشارة الإنجيل. فلقد كان يوجد صائغ اسمه ديمتريوس، يصنع نماذج فضية صغيرة لمعابد الآلهة أرطاميس. وكان هذا العمل يدر عليه مع العاملين معه ربحاً وفيراً. فدعا ديمتريوس عماله وأهل هذه المهنة وقال لهم: " تعلمون أيها الرجال أن عيشنا الرغيد يعتمد على صناعتنا هذه. وقد رأيتم وسمعتم أن بولس هذا أضل عدداً كبيراً من الناس، لا في أفسس وحدها، بل في مقاطعة آسيا كلها تقريباً، وأقنعهم بأن الآلهة التي تصنعها الأيدي ليست بآلهة. وهذا لا يهدد صناعتنا بالكساد وحسب، بل يعرض معبد أرطاميس إلهتنا العظمى لفقدان هيئته. فنخشى أن نتلاشى كرامتها وتنتهار عظمتها، وهي التي يتعبد لها سكان آسيا جميعاً، بل العالم كله."

فلما سمع العمال هذا الكلام تملكهم الغضب، وبدأوا يصرخون: عظيمة أرطاميس آلهة أهل أفسس. ثم عمّ الإضطراب المدينة كلها. وهجم حشد كبير من الناس على غايوس وارسترخس المقدونيين رفيقي بولس في السفر، وجروهما إلى ساحة الملعب. يبدو واضحاً أن ديمتريوس الصائغ، صانع النماذج الفضية الصغيرة لمعابد الآلهة أرطاميس أي ديانا، وتمثيلها، قد نجح في إثارة الناس

ضد الرسول بولس، وبشارة الإنجيل التي ينادي بها، لأنها هددت أرباحه المالية. إذ عندما يؤمن الناس ببشارة الإنجيل، لا بد أن يؤمنوا بالله الواحد الخالق، ويتوقفوا عن شراء هذه المعابد الفضية والتمائيل. وهذا يكشف لنا كيف يقف الربح المادي في أحيان كثيرة، عقبة أمام امتداد بشارة الإنجيل.

لكن لنلاحظ أن ديمتريوس مع أهل مهنته أخفوا جشعهم المادي عن الناس، وراء شعار الحفاظ على عبادة الإلهة أرطاميس. التي هي أساس التدين، لا بالنسبة لأهل مدينة أفسس فحسب، بل لكل المناطق المجاورة لها. وهذا يؤكد لنا كيف يخفي البعض رفضهم لبشارة الإنجيل المفرحة، بإدعاءات وشعارات قد تبدو جميلة براقعة، وتخضع الكثيرين. لكنها بالطبع لا تخضع أصحاب هذه الإدعاءات والشعارات. وأراد الرسول بولس أن يذهب إلى الملعب ويواجه الجمهور المحتشد، لكن المؤمنين بالمسيح منعوه من ذلك. كما أرسل إليه أصدقاؤه من وجهاء المدينة يرجون منه ألا يعرض نفسه لخطر الذهاب إلى الملعب.

أما في الملعب نفسه، وكالعادة عندما يعم الشغب، فقد كان الأمر مختلطا على الجماهير، إذ كان بعضهم يصرخ بشيء، وبعضهم يصرخ بشيء آخر، حتى أن أكثرهم لم يكونوا يعرفون سبب تجمعهم. وكان بين الجمهور يهودي اسمه اسكندر، دفعه اليهود إلى الأمام ليتحدث بالنيابة عنهم. فأشار بيده يريد أن يلقي على الشعب كلمة دفاع. مبينا عدم اشتراك اليهود مع المسيحيين في الأزمنة الاقتصادية لصائغي الفضة. لكن المحتشدين عرفوا أنه يهودي، فأخذوا يهتفون معا هتافا واحدا، ظلوا يرددونه حوالي ساعتين: عظيمة أرطاميس آلهة أهل أفسس. وأخيراً تمكّن كاتب المدينة من تهدئة الجماهير وقال:

يا أهل أفسس، من ينكر أن أفسس هي المدينة الحارسة لهيكل أرطاميس الإلهة العظيمة، ولصنمها الذي هبط من السماء؟ فلأنه لا خلاف في هذا الأمر، يجب أن تهدأوا ولا تفعلوا شيئا بتسرع. ولقد أحضرتم هذين الرجلين، ويقصد رفيقي بولس غايس وأرسترخس، مع أنهما لم يسرقا المعبد ولم يشتما أهنتكم. أما إذا كان لديمتريوس وزملاء مهنته شكوى، فإن عندنا محاكم وقضاة، فليتقدموا بشكواهم إلى القضاة. وإذا كان لكم شكوى أخرى، فإن النظر فيها يتم في جلسة قانونية. أما الآن فكلنا معرضون للمحاكمة بتهمة افتعال الإضطراب، بسبب ما حدث اليوم، ونحن لا نملك حجة نبرر بها هذا التجمع. وبقوله هذا صرف المحتشدين.

لقد كان كاتب مدينة أفسس محقا في كلامه، لأن الشغب الذي أثاره ديمتريوس لم يكن له أساس صحيح. وإذا كان له حقا شكوى فإنه يستطيع اللجوء إلى القضاء، وعندها تصدر المحكمة قرارها. وكشف كاتب المدينة أمرا هاما آخر، وهو أن حكام مدينة أفسس

مسؤولين أمام امبراطور روما في حفظ النظام والهدوء، فإذا فشلوا فستقع عليهم المسؤولية، وقد يتم عندها إقصاؤهم عن مراكزهم. وبذلك انتهت الفتنة التي أثارها ديمتريوس.

سنتابع صديقي المستمع في اللقاء القادم الحديث عن رحلة الرسول بولس التبشيرية الثالثة، وما واجهه من صعاب.